

اسم المادة: من المولد الى البعثة

من سلسلة: السيرة (بصائر١)

لفضيلة الشيخ: د. أحمد سيف

Way2allah.com

way2allahcom

إنتاج فريق التفريغ بشبكة الطريق إلى الله

اسم المادة: من المولد الى البعثة

من سلسلة: السيرة (بصائر١)

لفضيلة الشيخ: د. أحمد سيف



الحمد لله عدد ما خلق، الحمد لله ملء ما خلق، الحمد لله عدد ما في السموات وما في الأرض، الحمد لله عدد ما أحصى كتابه، الحمد لله على ما أحصى كتابه. الحمد لله عدد كل شيء، والحمد لله ملء كل شيء، اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

لا زلنا في غرفة الهداية الدعوية في موقع الطريق إلى الله مع دورة بصائر مع سيرة النبي –صلى الله عليه وسلم–. سيرة النبي –صلى الله عليه وسلم– أجمل سيرة، أخبار النبي –صلى الله عليه وسلم– وسرد أحداث حياة النبي –صلى الله عليه وسلم–.

لماذا سيرة النبي –صلى الله عليه وسلم–؟

سيرة النبي –صلى الله عليه وسلم– علم؛ علمٌ ينبغي على كل مسلم أن يتعرفه. فرض على كل مسلم أن يتعرف على سيرة النبي –صلى الله عليه وسلم–؛ كل على قدره، ليس فرضًا أن يعرف كل مسلم دقائق دقائق حياة النبي –صلى الله عليه وسلم–، لكن على قدر ما يتعلم الإنسان من سيرة النبي –صلى الله عليه وسلم– على قدر ما يكون أقرب إلى الله، على قدر ما يكون أفهم عن الله، على قدر ما يكون أقرب في الطريق إلى الله –سبحانه وتعالى–.

النبي –صلى الله عليه وسلم– قرءانًا يمشي على الأرض كما قالت أم المؤمنين عائشة، فإذا أردنا أن نفهم كتاب الله، وإذا أردنا أن نعرف كتاب الله –سبحانه وتعالى–؛ وأن نعرف تفسير وتطبيق القرآن فعلينا أن نذاكر، علينا أن نتعلم عن النبي –صلى الله عليه وسلم–.

فإذا أردنًا مثلا أن نعرف كيف نأكل؟ وكيف نشرب؟ وكيف نصلي؟ وكيف نقوم الليل؟ كيف نتعامل مع بعضنا البعض؟ كيف نبيع وكيف نشتري؟ كيف ندخل الخلاء؟ كيف نتعامل مع نسائنا؟ مع أبنائنا؟ مع أعدائنا؟ هذا كله آيات موجودة في كتاب الله –عز وجل– لكن تطبيق هذه الآيات ينبغي علينا أن نعرفه؛ لأن الآيات لها معنى شرعي ولها معنى لغوي.

فالمعنى الشرعي للآيات: الذي أراده الله –سبحانه وتعالى–، إذا أردنا أن نعلمه فعلينا أن ننظر في سيرة النبي –صلى الله عليه وسلم–، كيف طبق النبي –صلى الله عليه وسلم– هذه الآيات؟ كيف عاش النبي –صلى الله عليه وسلم– بهذا القرآن؟ سيرة النبي –صلى الله عليه وسلم– أمر هام جدًا لكل مسلم، لا يكمل إيمانك ولن يكمل إيمانِك حتى تعرفي سيرة النبي –صلى الله عليه وسلم–؛ لأنه من شروط الإيمان أن يحب الإنسان النبي –صلى الله عليه وسلم–.

حب؟! كيف نحب من لا نعرف؟ لو سألت شاب يحب مغني من المغنيين، ستجده يعرف كل ألبوماته، ستجده يعرف حفلاته، يعرف عنه كل شيء، لأنه يحبه. أو لاعب من لعيبة الكرة، أو رجل مناضل من مناضلي هذا العصر أو العصر الماضي.

فكيف نحب النبي –صلى الله عليه وسلم–؟

بدايةً حب النبي –صلى الله عليه وسلم– شرط في صحة الإيمان، فلا يثبت إيمان عبد حتى يحب النبي –صلى الله عليه وسلم–. في أركان الإسلام الخمسة نقول: "أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله" والشهادة علم مع إقرار أنني أعلم أنه رسول الله، وأؤمن به وأقر بذلك، وأعلن ذلك على الملأ أنه رسول الله –صلى الله عليه وسلم–. قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: "لَا يُؤْمِنُ أحَدُكُمْ، حتَّى أكُونَ أحَبَّ إلَيْهِ مِن والِدِهِ ووَلَدِهِ والنَّاسِ أجْمَعِينَ"[1] فلا يثبت إيمان لعبد حتى يحب النبي –صلى الله عليه وسلم–.

عمر بن الخطاب يومًا يمشي مع النبي –صلى الله عليه وسلم– فيقول عمر للنبي –صلى الله عليه وسلم–: "يا رَسولَ اللَّهِ، لَأَنْتَ أحَبُّ إلَيَّ مِن كُلِّ شَيْءٍ إلَّا مِن نَفْسِي، فَقالَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: لَا، والَّذِي نَفْسِي بيَدِهِ، حتَّى أكُونَ أحَبَّ إلَيْكَ مِن نَفْسِكَ" فوقف عمر يفكر وسكت عمر، ترى ماذا كان في ذهن عمر بن الخطاب في هذا الوقت الذي سكت فيه أمام النبي –صلى الله عليه وسلم–؟ لعلها مقارنة بين نفسه وبين النبي –صلى الله عليه وسلم–؛ نفسي.. النبي –صلى الله عليه وسلم–، نفسي جعلتني أعصي؛ نفسي لها شهوات؛ نفسي أوردتني المهالك؛ نفسي أبعدتني عن ربي، والنبي –صلى الله عليه وسلم– علمني عن ربي، وأخذ بيدي إلى ربي، عرفني الطريق، علمني المرجع وإلى أين المنتهى؛ "فَقالَ له عُمَرُ: فإنَّه الآنَ، واللَّهِ، لَأَنْتَ أحَبُّ إلَيَّ مِن نَفْسِي، فَقالَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: الآنَ يا عُمَرُ"[2]. أي الآن كمل إيمانك.

حب النبي –صلى الله عليه وسلم– أمر هام جدًا، قال الله –سبحانه وتعالى–: "قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ" التوبة:٢٤، أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله. فحب النبي –صلى الله عليه وسلم– أمر واجب على كل مسلم.

ينبغي علينا أن نتعلم عن النبي –صلى الله عليه وسلم–؛ لأن النبي –صلى الله عليه وسلم– هو أعلى نموذج إيماني على مر التاريخ، والنموذج البشري الذي ارتضاه الله –سبحانه وتعالى– ليكون أسوة حسنة لكل من جاء بعده –صلى الله عليه وسلم–. بل وجعل الله رسالته مهيمنة على كل الرسائل، قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: "لو أنَّ موسى كان حَيًّا، ما وَسِعَه إلَّا أنْ يَتْبَعَني"[3]. فرسالة النبي –صلى الله عليه وسلم– نسخت جميع الرسائل وبعثة النبي –صلى الله عليه وسلم– رسول جعلت فرض على جميع الأمة من بعد النبي –صلى الله عليه وسلم– أن يؤمنوا به –صلى الله عليه وسلم–.

النبي –صلى الله عليه وسلم– أعبد خلق الله إلى الله

وأحب خلق الله إلى الله. أفضل الناس خلقًا على مر التاريخ، أعلى نموذج بشري في الجهاد، وأعلى نموذج بشري في الدعوة، أعلى نموذج بشري في الأبوة، أعلى نموذج بشري في الجيرة، أعلى نموذج بشري في العدل؛ أعلى نموذج بشري في الصبر والتضحية، أعلى نموذج بشري ارتضاه الله –سبحانه وتعالى– في العبادة، أعلى نموذج بشري أعلى من جميع الأنبياء فهو –صلى الله عليه وسلم– النموذج الكامل.

---

[1] صحيح البخاري

[2] صحيح البخاري

[3] رواه أحمد والبيهقي



كثيرٌ من شبابنا وكثيرٌ من إخواننا وكثيرٌ من أهل عصرنا يمتدحون فلان أو علان ويجعلونه نموذج يأتسي به الناس، فينبغي علينا أن نتعرف على النموذج الذي ارتضاه الله –سبحانه وتعالى– لنا، فإذا أراد التجار أن يتبايعوا أو يشتروا، فعليهم أن يتعلموا كيف كان النبي –صلى الله عليه وسلم– يبيع ويشتري.

وإذا أراد الأب أن يربي أبناءه، فعليه أن يتعلم كيف كان النبي –صلى الله عليه وسلم– يربي أبناءه.

وإذا أراد الصاحب أو المعلم أن يتعامل مع طلابه أو مع إخوانه فينبغي أن يتعلم كيف كان النبي –صلى الله عليه وسلم– يتعامل مع أصحابه وإخوانه.

وإذا أراد الحاكم أن يحكم الناس فعليه أن يرى كيف كان النبي –صلى الله عليه وسلم– يطبق العدل. "لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ" الأحزاب:٢١.

النبي –صلى الله عليه وسلم– الذي يصلي عليه الله –سبحانه وتعالى–

"إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا" الأحزاب:٥٦، بل جعل صلاة الله على العبد معناها أن ندعو للنبي –صلى الله عليه وسلم–، الصلاة معناها الدعاء، وقيل معناها الذكر؛ الذكر الحسن، فإن الله –سبحانه وتعالى– إذا ذكر عبدًا أو إذا صلى على عبد معناها أنه يذكره ذكرًا حسنًا، وإذا صلت الملائكة على عبد معناها أنها تدعو له بالذكر الحسن: أي أن الله –سبحانه وتعالى– يذكر النبي –صلى الله عليه وسلم– دائمًا ذكرًا حسنًا، وأن الله –سبحانه وتعالى– إذا ذكر عبدًا فإنه يرفعه.

النبي –صلى الله عليه وسلم– له مكان في الجنة

لا ينبغي لأحد إلا لفرد واحد على مر البشرية، على مر التاريخ، رجل واحد يبلغ هذه المنزلة هو النبي –صلى الله عليه وسلم– المقام المحمود. لذلك لما جاء صاحب النبي –صلى الله عليه وسلم– معاذ يسأل النبي –صلى الله عليه وسلم– عن الثلث الأخير من الليل الذي يتنزل فيه الله –سبحانه وتعالى– ليجيب دعاء المضطرين، وليقبل توبة التائبين، قال يا رسول الله: "أأجعل نصف صلاتي عليك؟" أي أأجعل لك من دعائي نصيب؟ يعني أدعو لنفسي أم أدعو أن الله –سبحانه وتعالى– يذكرك يا رسول الله بالخير؟ قال: أأجعل نصف صلاتي عليك؟ قال: وإن تزد فهو خيرٌ لك. يعني هل تدعو لنفسك إذا كنت في الثلث الأخير من الليل أم تدعو للنبي –صلى الله عليه وسلم–؟ وتقول: اللهم صل على النبي محمد –صلى الله عليه وسلم–، فقال: "إذًا يكفك الله همك"[٤]

من نوايا السيرة التي ننتويها في هذه الحلقات:

أن نصلي على النبي –صلى الله عليه وسلم– كثيرًا، فصلوا على النبي –صلى الله عليه وسلم–، سيرة النبي –صلى الله عليه وسلم– سيرة عطرة، تتعلم فيها الإخلاص، تتعلم فيها التضحية، تتعلم فيها البذل، تتعلم فيها الصبر، تتعلم فيها كيف ترضي الله، تتعلم فيها كيف كانت عبادة النبي –صلى الله عليه وسلم–.

كل الناس يتعجب من الصدّيق كيف ضحى بماله كله؟ ومن عمر كيف وقف أمام الجميع؟ وكيف كان يسلك إذا سلك فجًا سلك الشيطان فجًا آخر؟ ومن حياء عثمان بن عفان؛ ومن حياء علي بن أبي طالب، كل الناس يتعجب من قوة الزبير بن العوام، ومن إنفاق طلحة بن عبيد

[٤] روايات الحديث هنا



الله، ومن ورع عبد الرحمن بن عوف، ومن قوة دعوة مصعب بن عمير، من شجاعة حمزة بن عبد المطلب. كل هؤلاء النماذج نشأت في مدرسة النبي –صلى الله عليه وسلم–.

يزول العجب إذا علمت أن هؤلاء رأوا من النبي –صلى الله عليه وسلم– ما لا صبر لهم عليه. فما ضحى الصديق إلا لما رأى النبي –صلى الله عليه وسلم– يضحي بكل شيء، وما وقف عمر وقفات الحق إلا لما رأى النبي –صلى الله عليه وسلم– يقف وقفات لم يقف أحد مثلها قط. وما ضحى عثمان وما تشجع علي بن أبي طالب إلا لما رأوا شجاعة النبي –صلى الله عليه وسلم–، ما أنفق طلحة إلا لما رأى النبي –صلى الله عليه وسلم– ينفق ماله كله ثم هو يقترض من الناس لينفق على الناس –صلى الله عليه وسلم–. أفضل من مشى على هذه الأرض حبيب الله –صلى الله عليه وسلم–.

ندخل في سيرة النبي –صلى الله عليه وسلم–، وسيرة النبي –صلى الله عليه وسلم– صعبة؛ أصعب وأكبر من أن نستطيع أن ندركها في أربعة أو خمس حلقات في هذه الدورة. لكن سريعًا العلم يأتي درجات، فإذا بدأنا في سيرة النبي –صلى الله عليه وسلم– في هذه الدورة السريعة فإننا فقط سنضع العلامات الأساسية في بعثة النبي –صلى الله عليه وسلم–.

النبي –صلى الله عليه وسلم– هو خاتم الأنبياء والمرسلين

وهو الذي بشر به إبراهيم –عليه السلام–: "رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ" البقرة:١٢٩، فإن إبراهيم –عليه السلام– لما أسكن ذريته في واد غير ذي زرع، دعا الله –سبحانه وتعالى– أن يجعل في هؤلاء القوم "رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ". فكان النبي –صلى الله عليه وسلم– هو دعوة أبيه إبراهيم، أبا الأنبياء خليل الرحمن، وكان هو بشارة عيسى –عليه السلام–؛ فما من نبي بعد إبراهيم –عليه السلام– وقبل النبي –صلى الله عليه وسلم– إلا وبشر قومه ببعثة النبي –صلى الله عليه وسلم–.

اسمه –صلى الله عليه وسلم– ونسبه:

النبي محمد –صلى الله عليه وسلم– اسمه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر –صلى الله عليه وسلم–. نسبه أشرف نسب؛ ولأن الدورة سريعة فلا نستطيع أن نقف مع كل كلمة من كلمات سيرة النبي –صلى الله عليه وسلم–، لكنه أشرف نسب وإذا بحث رجل في سيرة هؤلاء فستجد لكل رجل من هؤلاء فضيلة مختلفة عن باقي الناس سواء أبيه أو جده أو جد جده أو جد جد جده، كلهم نسب فاضل وهم أصل قريش.

ميلاده –صلى الله عليه وسلم–:

النبي –صلى الله عليه وسلم– ولد في عام الفيل، ولد النبي –صلى الله عليه وسلم– في عام جاء ملك الحبشة ليهدم فيه الكعبة، وذلك لما علم أن الناس أو أن العرب يعظمون هذا البيت وقد بنى بيتًا ولم يأتِ الناس إليه، فاغتاظ من هذا البيت الذي يأتي الناس إليه، الذي رفع قواعده إبراهيم –عليه السلام– وإسماعيل، فجاء ليهدم الكعبة، وكانت قريش وراء عبد المطلب جد النبي –صلى الله عليه وسلم–؛ في هذا العام وفي هذا الجيل الذي رأى هذا الجيش؛ جيش الحبشة جاء بفيلة ليهدم الكعبة ورأى نصرة الله –سبحانه وتعالى– لبيته، وكيف أن الله –سبحانه وتعالى– أنزل على هذا الجيش طيرًا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل، كيف أن هذه الفيلة توقفت، وأنها حبسها حابس فلم تستطع



أن تتحرك، ولما أراد المقاتلون أن يهجموا على مكة، نزلت عليهم طيرًا من السماء، فحصدتهم وقتلتهم وجعلتهم كأكلٍ كعصفٍ مأكول: أي جعلتهم جيف.

هذا الجيل الذي رأى هذه الآيات؛ شهد مولد النبي –صلى الله عليه وسلم–. وحدثت أحداث عجيبة في الكون، بدايةً أحداث في السماء كانت الشياطين تستمع في السماء إلى الملائكة، فلما ولد النبي –صلى الله عليه وسلم– مجرد مولده وذلك قبل بعثته أُغْلِقَت السماء "وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا * وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا" الجن:٨، ٩، فجأة امتلأت السماء بالحراس، وفجأة امتنعت الجن والشياطين أن تصعد إلى السماء، وإذا صعد أحدهم إلى السماء يأتي بخبر منها حتى يلقيه إلى كاهن ليضل الناس عن سبيل الله أو إلى ساحر، فإذا به يتبعه شهاب، علمت الشياطين والجن أن هذا زمان بعثة آخر نبي .

اليهود والنصارى كانوا يعرفون أن هناك نبي بعد موسى وعيسى –عليه السلام– اسمه محمد وبشروا به "الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ" البقرة:١٤٦، هم يعرفون النبي –صلى الله عليه وسلم– يعرفون بعثته، ويعرفون علامات نبوته، يعرفون دلائله ومعجزاته، يعرفون مكان هجرته، يعرفون دعوته، والأشياء التي يدعو إليها، لكنهم كفروا بالله.

كانت الفرس يعبدون النار، مجوس. وكانت نار الفرس لها ألف سنة لم تطفأ، فلما ولد النبي –صلى الله عليه وسلم– انطفأت هذه النار، فعلمت اليهود والنصارى من كتبهم أن هذا زمان بعثة نبي. قصور الشام أضيئت وعلم قيصر الروم أن هذا زمن بعثة نبي.

ولد النبي –صلى الله عليه وسلم– في هذا العام؛ عام الفيل، ولد يتيمًا، مات أبوه أثناء حمل أمه فيه، فلم يرَ أبوه –صلى الله عليه وسلم–، وكذلك الأنبياء من أولي العزم؛ عيسى –عليه السلام– لم يوجد له أب، موسى –عليه السلام– لم يتربى مع أبيه. هؤلاء أصحاب العزم أراد الله –سبحانه وتعالى– أن يصنعهم على عينه. فلم يتلقى نبي الله –صلى الله عليه وسلم– حنان الأب إنما صنع على عين الله –سبحانه وتعالى–. أراد الله –سبحانه وتعالى– أن نذكر قصص الأنبياء وقال: "لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ" يوسف:١١١، فكيف بسيرة سيد الأنبياء –صلى الله عليه وسلم–؟

ولد النبي –صلى الله عليه وسلم– يتيمًا ثم أخذته أمه. وكانت عادة العرب أنها تفتح آفاق الأطفال فكانت لا تربي الأطفال وأولاد السادة خصوصًا في بيوتهم، وإنما كانوا يبعثون بهم إلى المراعي، وإلى الوديان، حتى يتربوا وينشؤوا نشأة قوية، وحتى تتفتح فيها الأذهان، وحتى ينظروا كثيرًا إلى السماء.

النبي –صلى الله عليه وسلم– على عادة العرب بُعث إلى بني سعد، وأرضعته حليمة من بني سعد حليمة السعدية، ووجدت في إرضاعه بركة غريبة، هذه المرأة كان عندها حمار وكان بطيئًا، فلما ركبت بعدما اتفقت مع أم النبي –صلى الله عليه وسلم– على أن ترضعه عامين فإذا بهذا الحمار يكون أسرع حمارًا، وأما عن الطعام والشراب فأنها وجدت في الطعام والشراب بركة غريبة، فرُزقت في العامين التي كان فيه النبي –صلى الله عليه وسلم– وكانت فقيرة فقر مدقع، رزقت رزقًا واسعًا كثيرًا.

تربى النبي –صلى الله عليه وسلم– على عادة مكة أول عامين في بني سعد، ثم حدثت له حادثة شق الصدر، وبينما النبي –صلى الله عليه وسلم– طفل يحبو أو يجري مع الأطفال وذلك قبل بعثته بأربعين سنة أو بثمانية وثلاثين سنة، فجأة جاءه ملكان فشقا صدره وظن الأطفال أنه مات؛ وهذه الحادثة التي شُقَّ فيها صدر النبي –صلى الله عليه وسلم– الذي نزل فيها جبريل ليغسل قلب النبي –صلى الله عليه وسلم– ويُخرج منه حب الدنيا وشهواتها ويملأ هذا القلب حكمة وإيمان، ثم يلتئم الصدر مرة أخرى بإذن الله وبقدرة الله، في هذه العملية التي يخرج



فيها القلب ثم يعود إلى جسد النبي –صلى الله عليه وسلم–؛ ظن الغلمان والأطفال أنه مات، فجاءت حليمة فلما وجدته ممددًا أخذته واحتضننته ثم ذهبت به إلى أمه، تخاف، أخذته أمه عدة سنوات غير أنها هاجرت به إلى يثرب إلى مكان هجرته، وبينما هي بالأبواء في مكانٍ بين مكة والمدينة قُبضت وماتت، فتربى يتيمًا لعدة سنوات لأبيه ثم يتيمًا ولطيمًا فقد أمه وأبوه –صلى الله عليه وسلم–.

نشأته –صلى الله عليه وسلم–:-

وبعث به إلى جده عبد المطلب، نشأ في بيت جده حتى بلغ ثماني سنين، وكان جده يحبه ويجلسه في مجلسه، وكان جده عبد المطلب سيد قومه، فكان لا يجلس أحد على فراشه إلا النبي محمد –صلى الله عليه وسلم–، وهو ابن ثمان سنين، مات عبد المطلب. عاش النبي –صلى الله عليه وسلم– يتذكر الموت من موت الأب لموت الأم لموت الجد.

نشأ وترعرع في مكة، كانت له أخلاق جميلة. مكة أرض تجارة؛ لهم رحلة في الشتاء ورحلة في الصيف وكانوا السادة، فكانت العرب تبعٌ لمكة فهي أم القرى، ذلك أن العرب كانوا يتشرفون بوجود الكعبة وسطهم، فكانت كل قبيلة من العرب تضع صنمًا على الكعبة في مقابل أن تؤمّن قوافل مكة، فكان قطاع الطرق على شرق الجزيرة وغربها وشمالها وجنوبها يقطعون الطريق على كل القبائل إلا في مكة، إلا قبيلة قريش وإلا أهل الحرم، فإنهم كانت قوافلهم مؤمنة.

نشأ النبي –صلى الله عليه وسلم– في هذا الوقت غير أنه يُصنع على عين الله فكان مجهزًا بأخلاق مختلفة، كان –صلى الله عليه وسلم– صادقًا أمينًا، وهو ابن خمس عشر عامًا نشأت حرب بين قريش وهوازن، اسمها حرب الفجار، فجروا فيها ببعضهم بعضًا، وقتلوا بعضهم بعضًا، واستحلوا المسجد الحرام، النبي –صلى الله عليه وسلم– رأى هذه الحرب، وكان يرمي بالنبل مع أعمامه في هذه الحرب دفاعًا عن قريش وعن الحرم. ثم شارك النبي –صلى الله عليه وسلم– وشاهد حلف الفضول؛ ذلك الحلف الذي تكون من سادة قريش لرد المظالم ولإقامة العدل في قريش.

زواجه –صلى الله عليه وسلم–:-

فلما بلغ خمسًا وعشرين سنة؛ وكان يعمل في رعي الأغنام ليتكسب من حلال ويأكل من عمل يده، عمل بالتجارة فظهرت قوته، قوة تواصله مع الناس وأمانته وصدقه في تجارته حتى سمعت به امرأة اسمها خديجة، وهذه امرأة كان لها شأن في مكة؛ وكانت تبلغ من العمر أربعين سنة، يعني أكبر منه بخمسة عشرة سنة؛ بعثت إليه ليتاجر لها في مالها، تاجر لها النبي –صلى الله عليه وسلم– في مالها فأعجبها النبي –صلى الله عليه وسلم–، أعجبها صدقه، أعجبها أمانته، أعجبها قوته، أعجبها أنه متحمل للمسؤولية؛ أعجبها أنه يأخذ القرار بقوة وحكمة، فأرادت أن تتزوجه، وبالفعل تزوج النبي –صلى الله عليه وسلم– هذه السيدة من سادات قريش؛ خديجة بنت خويلد وهو ابن خمس وعشرين سنة وهي بنت أربعين سنة. ومرت الحياة مع النبي –صلى الله عليه وسلم– قبل بعثته سريعة، كان يعمل بالتجارة، يصدق إذا حَدَّث لم يشرب الخمر ولم يسجد لصنم، ولم يعجبه عادات قريش في أنهم كانوا يطوفون بالبيت عرايا، ولم يعجبه استعلاء قريش على سائر الخلق بأنهم الحمس وأنهم أعلى من الناس، فتحلى بأخلاق جميلة.

لما بلغ الثماني والثلاثين من عمره بدأت الإرهاصات والأخبار تتوافد من اليهود والنصارى أن في هذه السنين في هذه الأرض سيّبعث نبي، وبدأت اليهود الذين كانوا يعيشون في يثرب يتكلمون مع القبيلتين الذين يعيشون في يثرب؛ الأوس والخزرج أن هذا زمان نبي، وكانوا يستفتحون





من قبل، أي يقولون أن هذا زمان نبي، وأنه إذا جاء أو إذا بعث فإنه سينضم إلينا وأننا سننضم إليه، وأننا سنقتل هؤلاء العرب أصحاب الأصنام، وهؤلاء الملاحدة الذين لا يؤمنون، والصابئة الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر "وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا" البقرة:٨٩، والنصارى كذلك. جاءت الأخبار من الرهبان والكهان أن في هذه الأرض سيُبعث نبي في هذه الأيام.

خلوته -صلى الله عليه وسلم-:

ثم لما بلغ النبي -صلى الله عليه وسلم- التاسع والثلاثين من عمره بدأ النبي -صلى الله عليه وسلم- يحب الخلوة، فكان يصعد إلى جبل حراء. يصعد إلى الجبل ينظر فيه إلى السماء، ينظر إلى الخلق، ينظر إلى الدواب، ينظر إلى الناس من حوله، ويتفكر في خلق السموات والأرض، وفي خلق الإنسان. وفي الهدف الذي لأجله وُجد هذا الكائن الإنسان، من خلق هذه السموات؟ من خلق هذه الأرض؟ من خلق هذا الإنسان؟، إلى أين منتهى هذا الإنسان؟

هذا ما سنعرفه في الحلقة القادمة، وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي لكم. وجزاكم الله خيرًا.